

الجامعة الإسلامية

وموقف للنسوة منها

بقلم
رفيق وفتية

محاضرة أقيمت في جمعية الشبان المسلمين بمصر

١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م

دار المطبوعات والنشر والتأليف

بمصر ودار المطبوعات والنشر والتأليف

الرفاء

الحاج أمين الحسيني كلمة ملء فم الزمان ، ورمز الجهاد المقدس

في كل مكان ، وقد بعثت فيك سيدي جهود ، وحفظت بك
عهد ، وأنت بين الجهاد والجلاد علم مشهود .

دعوت إلى المؤتمر الاسلامي العظيم فاجي المسلمون ، وقلت
كلتك فاصغى الزمن وتردد الرجوع في أعماق القرون ، فانت بطل
إسلامي حين أيقظت سبات المسلمين الغافلين ، وأنت بطل وطني
حين أوقفت جهودك لوجه فلسطين .

فيا أيها الأسد المصور ان الزمان سيمر بما فيه وأنت وحدك
الحقيقة الخالدة ، مثل هذا فليعمل العاملون .

في كل عين أنت قررتها في كل جيل أنت عليها

رفيق وهبه

٢٥ مايو سنة ١٩٣٩

المقدمة

بقلم الاستاذ عبد الله العلايلي

اليقظة الاسلامية والاستعمار - الاسلام دين قوة لانه دين ودولة -
الاسلام دين وجنسية - السيد الافغانى والجامعة الاسلامية - هل السيد الافغانى
كان متأثرا بالافكار الروسية التى روج لها أمثال تولستوى - رفيق
بك العظيم ورسائله الجامعة الاسلامية واوروبا - المصلحون الدينيون أمثال
أمير سيد على الهندى ومحمد عبده وعبد المحسن الكاظمى - أثر مولانا
محمد على فى الدعوة إلى الجامعة - الحركة الفقهية والمذاهب - ابن حزم
وكتاب مراتب الاجماع - رأينا فى التوحيد المذهبى - للفرق الاسلامية
ومقام الدورز بينها

لم تأخذ فكرة التقارب المذهبى شكلا عمليا على صورة جدية
الا فى أواخر القرن التاسع عشر ، وكان لهذا الاخذ بواعث عاملة
ناصبة جعلت المسلمين على اختلافهم فى وجوه النظر التى قد تغلو
فتمس الاسس الاعتقادية ، يشعرون بهذه الحاجة ويعملون لها
حشدا ومعالجة

وكانت البواعث تجتمع في الطغیان الاوربی الذي كان شديد
الوطأة ، وساعد فيه انه يحمل مسحة دينية الى جانب العدوان على
الحريات ، فلم يكن طغيانا استعماريا فقط يمس كل شيء في غير
تطفل على الاديان ، بل تطفل وبالغ في التطفل حتى انقلب شيئا
استفزازيا غير محتمل ، وكانت طلائع التبشير تسبق طلائع الاستعمار
وتعبد له السبيل ، وهى على الدوام تكون في المقدمة

وهذا ما جعل المسلمين يرمقون التدخل الاجنبى بالنظر الشرر
ويحقدون عليه حقدا طامسا ويتآمرون به .

وفي مَكِنَتنا أو هو الواقع التاريخي أن تؤرخ الانبعاث الاسلامي
في العهد الجديد بالتبشير الاستعماري ، ويظهر أن اليقظات
تشابه في مقدماتها ونتائجها ، في كل عصر ، في كل مكان ،
فان تاريخ اليقظة الاوربية يبتدىء بحملة استعمارية اسلامية من
جانب الترك في أرض بيزنطية ، لذلك ننظر إلى المستقبل القريب
برجاء ملء الأمل مادامت النتائج تتبع المقدمات على وجه اللزوم

كما يعبر المنطقة . فاذا كانت نتيجة الانبعاث الاوربي هذه الحضارة المرموقة فستكون نتيجة انبعاثنا حضارة ينحسر التصور في كنهها .

وبالاخص اذا كان النظر في حدود الاسلام الذي هو عامل قوة حقيقية وفي عنصريته اداة الدولة والحكومة وليست كذلك المسيحية التي هي ديانة تالّة خالصة وكنوتية بحتة، فلم تعز بأن تهيم على الدولة وتجمع القوى في يد، والقلوب في اليد الاخرى بل اكتفت بأن تنفرد بالناحية الثانية وتعمرها . وهذا هو السر في دوام الاختلافات الدولية بين القوى الاوربية ويجمعها دين، لان التشبث بالمصلحة بأية وسيلة لا يتنافى مع المسيحية، وأما الاسلام فقد جعل في الدين ميزانا للوسائل التي بها يحافظ على المصالح ، ويبعد هذه الوسائل وقربها منه يكون حقها وباطلها، فلا يستطيع الخصم ان يستخدم ما يترأى له من الوسائل للمحافظة على مصالحه بل في حدود وقوانين، مما يظل معه للمسلمين على اختلافهم

قانون اساسى لا يتنكبونه .

وبذلك يكون قد حفظ القوى فلا تذهب متناحرة إلى درجة
الفناء ، وهذه ناحية القوة فى الاسلام . واعتقد بأن اعظم ما يهدد
الاسلام مما نثرت علينا اوربا من التعاليم نظام القوميات الحديث
الذى بات مفتونا به اكثر المشتغلين بالشئون العامة ، رغم
ما ظهر من فساده عمليا فى سرعة فائقة فى مختلف الانحاء الغربية
ولست أعنى بضرره أن لا نعمل به مضطرين تجاه الحوائل القائمة
بل أن نعمل به فى نطاق أوسع على أن لا يجعل قاعدة ثابتة للجهاد .
فان الاسلام دين وجنسية ، وبذلك يرتفع المسلمون جنسا واحدا
فوق حدود الاجناس والمعالم الجغرافية . ولعل الكمية كان أول
من سقط على هذا المعنى ، فى قوله يرثى النبي (ص) .
بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة

فنحن بنو الاسلام ندعى وننسب

ولا نتوسع الآن فى بحث من هذا النوع لمناسبة تخرج

بنا عن الموضوع. فكر المسلمون بضرورة التأخى الاسلامى واحياء
الجامعة الاسلامية مهما كلف الامر وعنى، وايقنت الطبقة الاولى
من حملة لواء الجهاد والنهضة، انها - أى الجامعة الاسلامية -
الهدف الذى يجب أن ينزل بين اهدافنا العامة منزلة القاعدة فى
البناء، فدعا اليها السيد الافغانى أول من دعا، غير هياب ولا
وجل مطمئنا إلى أن المسلمين قوة ترهب، اذا أحلوا البفاهم
محل الخلاف، وتركوا ما يختلفون فيه إلى ما يتفقون عليه. وقوى
الامل عند هؤلاء الدعاة فى النجاح، ان الفرق الاسلامية ترى
أن ما تختلف فيه، ليس فى قوة ما تتفق عليه.

وعندى أن الذى جعل دعوة السيد الافغانى لا تتجاوز كونها
صدى أو رجعا فكريا، ولم تماثل إلى أن تكون حركة عملية ناجحة
رغم أنها جاءت فى إبانها ولاقت أفئدة معدة كل الاعداد، كأنما
هى معبرة عما يجول فى انفس الناس ويحتاج فى حنايا الصدور.
كون السيد الافغانى برئيا، أكثر من احياء الجامعة الاسلامية،

يرمى إلى إحداث ثورة انقلابية تشمل المحيط الاسلامى على اختلاف ألوانه ، وتتناوله من شتى أقطاره ، ليقدّم المحيط لبنات جديدة ، تصالح لاقامة البناء الجديد . فقد كان يرى أن الفساد ليس فى نسق وضع اللبّات فقط ، بل فى اللبّات نفسها أيضا .

ولذلك أقدر ، وان تكن فكرة شخصية ، أن السيد الافغانى تأثر إلى حد محدود بالأفكار التى كانت تجيش فى المحيط الروسى وتبلبل الرؤوس ، وان لم تكن اتخذت بعد شكلها الفعلى الثورى . فلم تكن تعاليمه انشائية بل تهديمية ، وكانت آيته ان يتمخض كل مجتمع حل فيه عن ثورة مستطيرة ، ففى الهند ومصر وفارس والقسطنطينية بعثرات ماد بها المجتمع إلى حين ،

فالسيد الافغانى كان داعية إلى أفكار حرة مطلقة ، أفكار بلشفية لم تأخذ بعد صبغتها الفلسفية الثابتة ولونها الاجتماعى الخاص وطابعها المتميز ، ومن ثم لا نبعد اذا ربطنا هذه الثورات التى كانت من عمل يديه فى الحقيقة . بالثورة البلشفية الكبرى

بيد أنها جاءت سابقة لاوانها . وأنا أرجح أن السيد الافغانى
كان منتسبا إلى خطّة روسية على أى حال .

ولا يؤخذ علينا تعبيرا بالبلشفية فان ما نريد هو تقرّب مانتهى
دون تحقيق في التعبير ، وبذلك يكون بينهما صلة ماعلى نسبة .
وهذا رأى وان كنا ننفرده به ويستند كره علينا كثيرون ، فانه
يفسر حرّكات السيد الافغانى تفسيراً إلى مدى بعيد .

وفى غير تطويل وجنوح إلى الاستطراد ، اذكر بأن الجامعة
الاسلامية كفكرة ، اختمرت فى رأس كثير من المفكرين فى
أواخر القرن التاسع عشر ، وكان أكثر هؤلاء غيرة على الفكرة
وعملها اليها وفهما لها ، رفيق بك العظيم ، حتى بدا فى رسالته
(الجامعة الاسلامية واروبا) كما يبدو المحب الغيور ، يغار لانه يحب
ولا اكنم انها تستهوينى كما عدت إلى قراءتها ، فهى ثمرة من
النضج التفكيرى والنظر البعيد والسمو الذهنى . وهو انما
الفها بمانا لمدى التخوف الواهم الذى يأخذ الساسة الغربيين كما

مر بسمهم كلمة (الجامعة الإسلامية) . وهي في غايتها ترمى إلى
التمهيد الحقيقي للفكرة وتعبيد الحوائل الكبيرة التي فيها حفظ
كبير من الخيال المجرد .

ولقد حال دون نفوذ هذه التعاليم نفوذاً جارفاً ، ان المسلمين
استفاقوا فاذا بهم أمام فروق دينية لا يمكن التغلب عليها بسهولة
أبداءً ، وبالأخص في طبقة السواد الأعظم من كل قبيل ، وبعد
ان ارتتبت لها عوامل الزمن الطويل . وكان الظرف رغم هذا قد تهيأ
لسماع كلمة الدعاة الدينيين حتى يستجيب لهم ، فكان في مقدمة
هؤلاء أمير سيد علي الهندي والشيخ محمد عبده والشيخ عبد
المحسن السكاظمي ، وربما كان اسبق الجميع إلى دعوة الابقاظ
الشيخ السكاظمي ، فقد كان الف قبل مرور السيد الافغانى بالمراق
كتاب (تنبيه الغافلين) ، وفيه دعوة عامة للمسلمين لينظروا
الى الفروق بينهم لامن وراء الوصاوص الضيقة ، بل من وراء
عيون كأنها المجاهر . وهذه الدعوات لا تفتأ تزيد قوة وتبعث

ففيها الايام روحا نشيطة حتى تستوى واقماً حياً .

ولعل اقوى الدعاة في القرن العشرين الذين صاغوا الدعوة
إلى الجامعة الاسلامية بصيغته تنتهج مع الاسلوب المدرسي ،
مولانا محمد علي الزعيم الاسلامي الكبير الذي وقف عليها كل
جهوده . وكانت النتيجة العملية لهذه الحركات المتعاقبة ، المؤتمر
الاسلامي الذي انعقد في القدس ، فقد كان هائلا بما ضم من
رجال من مختلف الاقطار الاسلامية ، وقد عبر احسن تعبير
عن استعداد القوى في المحيط الاسلامي الواسع للعمل مجتمعة ،
وان كانت تنقصه المؤهلات اللازمة التي لم يسمح بها الظروف
بعد ، وان من الحكمة ان لا نستعجل بها الزمن حتى نحقق
نتيجة طبيعية للاختار . ولكن مما يبتهج له على أي حال أن
الدعوة أخذت اليوم صوغا تعليميا ، وبدأت تنبث في الطبقات
من كل مجتمع كاسمى مثلنا العليا .



ولقد تولد وتتج عن هذه الحركة التي كان من غايتها تقريب
شقة الفرق المتباعدة في وجهة النظر . حركة فقهية جلية الشأن
ترمى إلى توحيد المذاهب الاجتهادية في الفروع ، فانه ضرب من
توحيد الثقافة في جانبها الديني التي هي اس النهضة المنتظرة
والبحث الانقلابي الخطير .

ومن ملاحظتنا الهامة أن أول من فكر تفكيرا جديا
في هذه الحركة ، الامام أبو محمد علي بن حزم الذي ابتداء امره
شافعيا ثم ظاهريا ثم داعيا إلى توحيد المذاهب الفقهية ، وان لم
يصرح هو بنائيته . ولم يفهم مؤرخو التشريع الاسلامي القصد
الصحيح من اخراج كتاب (مراتب الاجماع) المرتب على
أبواب الفقه ، ولذا تعقبه المحدث الكبير ابن تيمية باحصائه
مناقضات وقعت عنده ، بين ما جاء في هذا الكتاب وبين ما جاء
في كتبه الاخرى كالحلى والاحكام والفصل . وذلك لانه لم يفهم
الفكرة الاساسية من وضعه هذا المصنف الجليل ، وهو بلا ريب

يعبر عن فكره "مختصرة" ، واقدر بأنه من آخر ما أنتج هذا القلم
العبقري . ولقد كنت اتشوف إلى اخراجه بحلة دراسية عميقة
تعرف بمقاصده السامية ، وعلى كل وان لم يخرج بالثوب اللازم
اضفاؤه عليه ، فما يربح أنه أخرج وأصبح في متناول الأيدي ،
بحيث يمكن أن تعطى عليه دراسة تشجع الدعوة القائمة . وهذا
الكتاب بضمه المجتمع والمتفق عليه أو كالمجتمع عليه أنار السبيل
القصد وجعله أمما . ثم لا نغفل كتاب ابن رشد الحفيد (بداية
المجتهد ونهاية المقتصد) الذي جاء صينواً أو كهنو لكتاب
ابن حزم الجليل .

وهنا نقيد ملاحظة عرضت لنا ابتداء على أصل ذكره العلامة
السيوطي في (الاشباه والنظائر الفقهية) وان كان فيها نصيب
من قياس الفارق وانما اثبتها أخذاً بقاعدة الاحتياط فقط .
بأن الشك في العبادة يفتضحها ، وعليه فالقلد للمجتهد في فرع
ما ، اذا كن بين عبادة علم انك في فن المجتهد لا شئ القطع

بإحقيته في مجال الظنون ، فهو بناء للعبادة على الشك الذي هو
ناقض لها . وهذا لازم على قول المخطئة أو المصوبة ، ويانه على
قول المصوبة يظهر في المسائل التي يقال بالتضاد للفوى بين الفقهاء
وتكون النسبة بينها كالنسبة بين الشيء والمساوى لنقيضه ،
كمس البهمة الناقض للوضوء عند الشافعية وإيس بناقض عند
الحنفية ، ضرورة أن الحق لا يقال على الشيء ونقيضه أو المساوى
لنقيض وإن في مجال الظنون قطعا ، فان الاحتمالات الظنية في
مثل هذا النضير كلاحتمالات العقلية المألومة ، وعليه فقول المصوبة
في هذا خلف . مما ينتقل معه إلى قول المخطئة وله تفسيران
(١) أن الحق واحد لا بعينه وما عداه خطأ . (٢) أن الحق بالنظر إلى
المتلد قول امامه وما عداه خطأ .

وقول المخطئة على التفسير الاول ، ظاهر كيف هو بناء للعبادة على
الشك فلم يبق الا التفسير الثاني فانه يقوم العبادة وعلى المقلدين
أن يبنوا عباداتهم عليه ، وليسكن اعتماده بمنهج التقليد بله التلخيص

ويوضح هذا ، الأصل عند الشافعية "القاضي بسنيته الفعل خروجاً
 من خلاف من أوجبه إلا إذا كان يترتب عليه كراهة" في
 المذهب ؛ كصوم يوم الشك فقد أوجبه الحنابلة وكرهه الشافعية .
 وعليه فنحن بين أن نقول بقول المصونة أو المخطئة وعلى كل
 لا تصح لنا عبادة "يجمع الأئمة" على صحتها ، واجتماعهم ليس ضروريا
 في صحة العبادة وإنما هو أولى ، وهذا حرج كبير واجب أن نخلص
 منه بأي حال ، وإنما برره عند الأولين أنها مسائل فرعية يكتفى
 فيها بالظن ولا يلزم فيها القطع كما بينه العلامة "الشافعي المالكي
 في (القواعد الكبرى) ولما نريد أن نتوصل إلى الشك في
 عبادات الناس فإن التفسير الثاني لقول المخطئة يصححها ، وهناك بعض
 من الفارق بين الأصل الفقهي وبين مظنة الخطأ في ظن المجتهد كما لا يخفى .
 فعبادات الناس صحيحة بلا خلاف فإن مالا عبرة به إنما هو الظن
 البين خطؤه فقط ، وتبين الخطأ في ظن المجتهد بحيث يرفع النزاع محال
 قطعاً فإن الدلائل كل مجتهد نصيب من النظر القوي مهما تورك

غايها ، فأقول المجتهد اذن من قبيل الظن الذي لم يتبين خطؤه بصورة
قاطعة لانزاع ، فهي معتبرة شرعا ومحصلة للقدر الذي به يسقط
التكليف . وإنما نريد أن نتوصل إلى بيان أن الدعوة إلى توحيد
المذاهب لها نصيب من النظر الديني والاستقامة التعبدية .

وان من ارضى ما سمعت طرفة تفسرها العلامة السيد^(١) حبيب العبيدي
مفتي الموصل وقد جرى الحديث عن المذاهب والخلافات الفقهية
فقال (انا إلى اليوم لا نعرف نقوضاً) مشيراً إلى جسامه الخلافات
حتى لا يكاد يصح معها وضوء ، فالنافعية^٢ يشترطون النية والترتيب
والمالكية يشترطون الموالاة والحنفية مسح ربع الرأس مما
لا يتفقون معه على تصحيح وضوء . وانكتفى الآن بهذا البيان
الموجز لانه استطار اذ قد يخرج بناء ما نريد الانتهاء اليه ، ولسكن

(١) رجل من أكبر رجالات العراق يضم الاخلاص إلى
العنقية وهو مصلح ديني ومفكر اجتماعي ولعل اعظم ما يعرف به
كتابه (النواه في حقول الحياة) .

يعرف على كل حال بالملاحظة التي نود اثباتها .

ومهما يكن من شيء فإن الحركة الفقهية ، تولدت من حركة التقارب المذهبية ، ومن تبشير النجاح أن الجمهور بله الخاصة ، غدا يقابلها بحماس شديد ، وهذا له مغزاه . وإن النظر اليوم يتجه إلى الأزهر ، باعتباره أكبر جامعة إسلامية عالية تحوز من ثقة المسلمين أكبر نصيب في أن يتم هذه المحاولة التي هي قيمة بالنجاح والتوفيق . وفي الحق أنها جزء من رسالة الأزهر الكبيرة الأعباء ، ولكن هذه الخطوة أكبرها جميعا . وإن وجد في العلماء من يتأثّمها ، فأما نشأ من القلب الذي فرض السير عليه في التوحيد المذهبي المرتقب ، والا فقد تقبل فقهاء الدولة العلية - دولة الخلافة - في زمن التنظيم القضائي بدون نكير ، الأخذ في (مجلة الأحكام العدلية) بمثل قول ابن أبي ليلى وترك مذهب أبي حنيفة في بعض الفروع ، رغم أن الاعتماد في تقنينها كان على المذهب الحنفي كما أوضح هذا العلامة التركي علي حيدر صاحب شرح

المجلة المذكورة و كذلك كان العمل في قانون العائلة العثماني
كما جاء موضحا في مذكرة البيانات والبناءات منه .

وهذا كله جنوح إلى الاقتباس الذي هو المرحلة الاولى من
توحيد المذاهب ، وهؤلاء الذين يتأثمون على ضرورة أن ينفى
العمل بالمذاهب مطبقا ، لهم الحلق في ذلك ونحن نشاركهم
الرأى والتخوف .

ورأى أن تكون خطة العمل في هذا السبيل ، بأن تجعل
المذاهب - بما في ذلك مذاهب الصحابة والتابعين والأئمة
المجتهدين - مميّنة لتلقى الأحكام ، وينحصر عمل اللجان الفقهية
أو المجمع الفقهي في ترجيح حكم في مذهب ما على الحكم في
المذهب الآخر ، بحسب مقتضيات الظرفية والعرفية ، على
أن يكون هذا الحكم الراجح عرضة لأن يكون مرجوحا
إذا وجدت مقتضات تحمل على ذلك ، وعليه فما وقع اختياره
من الأحكام المجموعة التي هي المذهب الموحد ، يكون بمنزلة

القول القوي في المذهب وسواء يكون بمنزلة القول الضعيف يجوز العمل به في خاصة الأمان ولا تصح به الفتوى كما هو الشأن في أقوال المذهب الواحد . وبذلك تكون المذاهب على اختلافها بمنزلة الأقوال والوجوه والروايات للمذهب الموحد ، اقواها ما وقع الاختيار عليه في كل دورة تنقيحية .

وبعد فلا اظن أحداً كئئماناً كان يجد غضاظة في أخذ كهذا الأخذ ، ونهيج على هذه الشاكلة ، الذي يضع المذاهب كرجع أساسي للتشريع وهي ثروة عظيمة نستفيد منها في كل حين ، وتكون مهمة المجمع الفقهي كمهمة المجتهد المذهبي فقط بحيث لا يجاوز اجتهاده حدود الترجيح والاختيار .

هذه خطوة مباركة وواجبة ، لتضع حداً للفوضى في الفتوى التي تبدو على وجه منكر والتي تأخذ شكل التلاعب والعبث في الأحكام ، ولقد شعر الأولون بأثر هذه الفوضى ، فإرادوا وضع حد لها ولكن صاغوه بشكل لا ينفي الفوضى وإنما يسترها ،

فقالوا (مذهب السائل مذهب مفتيه) ليخففوا من حمى البلبلة .
وعلى كل شاء القوم أم أبوا فان المهنويات التي تسير الاجتماع
الحديث وتدفعه ، باللغة هذه الغاية إن لم يكن سريعا فلا بد
أن يكون حثيثا .



والذي يبحث على الارتياح العميق ، شعور الفرق الإسلامية
بمكانها في المحيط الإسلامي العام ، وشعورها بشيء آخر هو
سلامة الأسباب في توصلها ، والتوفر على تمكينها وإزالة عوامل
الفرقة بالمقدار الممكن . وهذه الرغبة التي لا تمهد ، والالحاح في
ادراك القصد ، تبعث اطمئنانا شاملا وأملا موفورا

واظنني صادق الحدس اذا قلت باننا لن نستقبل النصف
الثاني من القرن العشرين الا وقد أصبحت الجامعة الإسلامية
حقيقة راهنة جاوزت دور الدعوة إلى كونها واقعا عمليا ، بما
نرى من عزيمة عاملة وسعى لا يني ونشاط يباليغ ولا يفتر . يحدو

كل ذلك اخلاص وفير ، لا تختلط به شائبة ولا ينطوى على
دخن . ونحن وإن كنا لا نشك بأن هذا التفاهم لن يتم على أساس
التنازل مرة واحدة عما يقوم عليه رأى كل فرقة وملايساته ، بل على
ضرب من التسامح والاغضاء . فان مما لا شك فيه أيضاً أنه سيقبل
من حدة الخلاف وعصبية ، ويحقق الاندماج الصحيح في
آخر الامر .

وقد أصبح بين أيدينا اليوم معلومات صحيحة عن كثير من
الفرق ، التي كانت عند اسلافنا محجبة أو كأنها مرصودة بطالسم
تحوى السر الرهيب ، بيد أنه قد آذنت هذه الطالسم أن
تنكشف عما وراءها . ومن المهم أن تثبت بأن ما قبل ذلك من
نقول اتسمت لها اخیلتنا ، لا تجاوز كونها تكهنات قد يصدق فيها
الحدس وقد يطيش .

ولعل أهم هذه الفرق بالتعريف : الطائفة الدرزية التي تحتل
مكائماً في قلب البلاد العربية ، والحق أنها تنزل بمكائماً وخيمها

واعلاق شيعتها ، منزلة السجى المثل العربية الكريمة ، وطائفة هذه
قيمتها لا يمكن أن نشجعها بتغافل مطلق ، وإنما على المسلمين
أن يتعرفوا اليها ويشجعوها على التعريف عن نفسها . ثم لا يسمي
الا أن اتنى على الاستاذ رفيق وهبه وهو شخصية دينية في
الطائفة ، بمحاولته القيام بالدعوة المشكورة التي لا بد أن تجد
بين عامة المسلمين تشييطا وتشجيعا .

وهذه الرسالة أولى محاضراته التي أهاب بها الجماهير الإسلامية
إلى أن تعرف من أمور الاقليات الإسلامية الأخرى ما لا ينبغي
أن تجهله . ولقد بدا فيها هادئا كما يوجب الأسلوب العلمى ،
وانا اسجل باعجاب هذه الفقرة من المحاضرة . (تبدو الدعوة
الى الائتلاف صعبة سهلة ، صعبة لأنها تقوم على تقاليد وخلق
موروث ، وسهلة لأنها تقوم فى وسط نحلة وتجتمع على دين .
بيد أن الناس أصبحوا يدركون من أمورهم أكثر مما كانوا يدركون
ويرون الضرورة تقضى باجتماعهم ، وهم لذلك يحلون اختلافاتهم

محلا ثانوياً ويقطعون من حلقة تاريخهم فترة الاختلاف والتنازع
الضال، ليصلوا تاريخهم الحاضر بتاريخهم القديم تاريخ العهد الرسولي
والذي أعرف عن الطائفة ويعرفه كل منصف أنها كانت على
الدوام شراً في عواطفها مع العامة الإسلامية، ولقد سجلت
صفحات ناصعة في التاريخ الإسلامي ومن يجهر بمواقف
رجالها الأفاضل في الدفاع عن حوزة الإسلام والمسلمين، وإذا
كنا لا نعرف الأمير شبيب أرسلان ومواقفه الدفاعية عن القضية
الإسلامية في الشرق والغرب، فانا لا نعرف مجاهداً دينياً
وسياسياً أبداً.

وفي النهاية أوجه معتبة حارة الى اولئك الكتاب الذين
همهم تقييد كل ما يقع لهم من اخبار ونقول، وإن كانت تعالج
الحقيقة وتناكرها، ولا تستوى مع الأسلوب النقدي الحديث
وعلىنا أن لانحكم دراستنا بما نجد عندنا من نزعات عافية، كما ثبت
في كتاب (أشعة من حياة الحسين) ص ٨ و ٩ (فان الدراسة

تستدعي تمهلاً وأناة" وروية بالغة وتستدعي شيئاً آخر ليس من
هذا الذي نذكر ولا اليهو هو التجرد عن شتى النوازع والسيطرات
الوجدانية والاعتقادية والافائية روية اذا كانت محكمة بنزعة
أو مغلوبة بنزعة تكون مبالغة واغراقاً في تقرير الجانب الشخصي
فقط . وهذا لا يفيدنا سوى احياء الاختلافات التي كانت مهبطاً
بصبغة السلاهوت ؛ لتأخذ صبغة جديدة من التاريخ التحليلي
النقدى)

عبد الله العلايلي

مؤلف كتاب مقدمة لغة العرب

بيروت

تقديم

الداء الدوى فى الشرق الاسلامى الذى ينبث فيفتك فتكا ذريعا ، والذى أعبى المجاهد السياسى امره ، وفت فى عضد المصلح الاجتماعى حتى بات حيران ماذا يصنع ، ومن أى مأتاة يتبع سواء القصد . ربما ينحصر فى التنازع المذهبى ولا يجاوزه ، وهذه حقيقة صريحة فان هذا التنازع يستعر أحيانا إلى درجة كبيرة ينسى معها المنتسبون إلى هذه الفرق ، الحقيقة الاسلامية الكبرى التى تجمعهم على أى اعتبار .

وهذا شىء يجعلنا ننطوى منه على أسى وألم مريرين ، ويجعلنا نهيب بالطبقة الدينية من كل قبيل ، بأن يقوموا برسالتهم الصحيحة فى بعد واتقاء من الذاتية والغرضية الذريعة الفتك والاجهاز ، وعليهم كل تبعة فى تأخر المسلمين فانهم وحدهم الذين فى استطاعتهم أن يعمروا باليد الآسية على الضعف فيستبدلون به قوة .

ولقد أثبت كثير من النقاد الاجتماعيين ان العلة في تأخر
العالم الاسلامي لا تعود إلى عائق من العوائق السياسية والحيوية
وملابساتها ، وإنما تعود إلى العائق المذهبي كما جاء في (مقدمة
الاستاذ العلايلي) والرجال الدينيون في استطاعتهم أن يأخذوا بيد
المسلمين في السبيل السوي وليس عند المسلمين من علة تحد من
جهودهم الكبيرة في سير الانبعاث والنهوض الحى ، شىء وراء
هذه النزعات

ونحن إذا قررنا فكرة من هذا النوع فليس من قصدنا فيها
إلا الاخلاص لقضيتنا الكبيرة المقدسة ، التى تنزل فوق كل
الاعتبارات الاخرى ،

وبعد فان الطائفة الدرزية من أشد الطوائف غيرة على القضية
وعملها وسعيها وراءها ، وبين رجالات الانبعاث الاسلامي
جمهرة كبيرة من الدروز .

وهؤلاء قاموا بتقديم أكبر مجهود يحمد له لهم الجميع ويكبره

كل مسلم مفكر منصف ، واهلنا إذا ذكرنا شيخ المجاهدين الامير
الجليل شكيب ارسلان في هذا الممرض الذي يجيء فيه أمة وحده
بما توافر له من خدمات جلي ومواقف حميدة ، فقد غنيناها ذكر
أى آخر ، فانه بيلائه المستمر سجل رقما قياسيا أو فوق القياسى
للرجل المسلم المكافح المخلص

وكفى بالامير والرجالات الكثير في مختلف الاقطار ، ممثلا
لوجهة نظر الدروز من حيث الجامعة الاسلامية والائتلاف تحت
راية الاسلام .

ومن شاء ايضا حاك أكثر من هذا فليسأل الجزيرة العربية وليسأل
مصر ويسأل فلسطين فهناك (عند ابن خلدون) يجد الخبر اليقين
ومن الخطأ الجسيم الظن بهؤلاء المجاهدين الا برار انهم انما
يعبرون عن أفكار شخصية فقط ، والحق أن المجموع الدرزي
برمته ، يشعر بشهورهم ويتجه في مثل اتجاههم ويقول بقولهم .
ثم لا تغفل أن نهيب بالمجموع الدرزي إلى التعريف عن نفسه

بشي الطرق على أن تفسح الجهرة الاسلامية لهم السبيل
وتساعدهم .

وبالأخص الأزهر الشريف الذي هو أكبر جامعة دينية
اسلامية .

ومعنى هذا أن يعمل الأزهر على نشر الدعوة الاسلامية النقية
وأن يوجه بمئات علمية لتغذى الوسط بروح الاسلام الصحيحة ،
وما إلى ذلك مما يضمن النهوض بالمستوى العام ، فتكون الوحدة
وتتوثق عرى المحبة والاتحاد .

وأنا ما فتئت منذ حللت القطار المهرى أسهى تحت شعور
الواجب ودوافع الايمان مع الرجالات المختصين ، والذين يعينهم
هذا الامر ، لتحقيق هذه الامنية وللتعريف جهد الطاقة بعادات
طائفتى ومعتقدات قومى فكنت أجد تحبيذا من الجميع فكل
يتبنى هذا ويشعر بما له من الاهمية الكبرى

ولقد أبدى الشيخ الاكبر شيخ الجامع الأزهر فضيلة الاستاذ

محمد مصطفى المراغى الذى هو أكبر من يعمل فى هذا الحقل من
الوجهة الدينية رحابة صدره وتفهمه يداً وتحفيزاً فى المقابلة التى تشرفت
بها وعلقت أملاً أكبر أمل بالانجراح وحسن المستقبل ، مادام شيخ
الاسلام يعمل لتوحيد كلمة المسلمين .

يبد أن الكتاب الذين يشوهون الحقائق يتركون آثاراً سيئة
جداً ، ونسوق هنا مثلاً من تلك التخرصات والترهات (ولم تشر
الدعوة الباطنية ثمرتها العملية ، إلا فى وهاد الشام حيث انتظمت
فى فرقة ثورية ملعدة جديدة هى طائفة الدروز ، التى تضم
زهاء مائتى نفس يدينون إلى يومنا بكثير من هذه المبادئ
الاحادية المدهشة :

فهم على مادعا اليه حمزة بن على منذ أكثر من تسعة قرون ،
ينكرون الالهية فى ذاتها ويعتقدون فى ألوهية الحاكم بأمر الله ،
وفى رجعتة آخر الزمان . ولهم فى تصويرها أقوال مفرقة ، وينكرون
الأنبياء والرسل جميعاً وينكرون أصول الاسلام والنصرانية

واليهودية ، بيد أنهم ينتسبون ظاهراً إلى الاسلام ، ويتظاهرون
أمام المسلمين بأنهم مسلمون وأمام النصارى بأنهم نصارى .
ويبغضون في الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى ولا سيما المسلمين
ويستبيحون دماءهم وأموالهم . والالوهية البشرية وهي لب
مذهبهم ، عندهم منة المبن ونعمة النعم)

هذه فقرة من كتاب كبير الاستاذ عبد الله عزان ، خصه بحياة
الحاكم بأمر الله وتناول في أثناءه الفكرة الدرزية والدروز ،
وأخذ فيه على نفسه كما يقول في مقدمة الكتاب الحرص (أثناء
استعراض المسائل المذهبية ، على أن نبقي ما استطعنا في دائرة
البحث التاريخي ، فاذا كان لنا ثمة آراء وتعليقات خاصة ، فهي
ثمرة البحث والنقد الحر ، لم تتأثر في ابدائها بآية نزعة أو فكرة
مذهبية ، وهذه حقيقة نرجو أن تقدر قدرها) في هذه الأسطر
القليلة أوضح الاستاذ متوجهه في البحث ، وهو منهج كل مفكر
عصري يرمى إلى تقرير الحقيقة ما أمكن ومقاربة الواقع في غير

اعتقاداً على مذهبنا الرأى أو التأثير بالذاهب ، وخافوا بحكم بحث أن
تكون هذه خطته في عرض المسائل وتقرير نتائجها .

ولكن لا أظن أن الاستاذ عنان وفق في العمل بهذا المنهج ،
والجري على هذه الخطة إلى آخر الشوط الذي رسمه لنفسه . فان
التكهنات والمثالب التي راح يوجهها من هنا وهناك للحط والزراية
على الدرور ، لا تعبر أبداً عن احترامه وتقديره للمذهب الحر في
النقد . فهو يتهمهم تارة بالنفاق أمام المسامحين والنصارى ، وتارة
بالاحياد ، وآونة بأنهم فتا كون مغتالون ، الى آخر ما شاء له مذهبه
النقدي الحر أن يملى عليه ، ونحن وإن كنا لا ننكر منه بأن
المذهب الدرزي في جوهره قديمه عن مذهب أهل السنة في كثير
والكن بهذا المقدار الذي يتصوره أو يشاء تصويره ، فلا .

ونحن في الكتاب الذي سنخرجه عن الدرور ونحلتهم ،
سنبين حقيقة المذهب مستنديين الى النصوص الصحيحة المعتمدة
ولا أظن أحداً يقرأ قوله (حيث انتطمت في فرقة ثورية ملحدة

جديدة هي طائفة الدروز) إلا ويخيل إليه أنه يقرأ لتأسيس من
كتبة القرون الوسطى ، التي تمتد في دحض شبهة الخصوم على
مجموعة كبرى من المثالب وليس من قصدنا أن نناق على مايجب
به وإنما نوجه النظر إلى أن مذهب النقد الحر لم يصبح عندنا حقيقة
عملية بعد ، وإنما يتخذ ستارة من مذاق اللسان . وفي الكتاب
قسط كبير من هذه المثالب اغضينا عنها الى حين .
ومهما يكن من شيء فإن الدروز تربة صالحة وثرة خصيبة لكل
حركة اصلاحية ، والله من وراء القصد .

رفيق وهبه

مخاضة

في الائتلاف تحت لواء الاسلام

أو الجامعة الاسلامية وموقف الدروز منها

بفتح الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .
رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من
لذلك سلطانا نصيرا .

سادتي :

يسرني أن أقول بينكم كلمتي . ومن أولى من الشباب في أن يؤدي
الرسالة الى الجيل المقبل ، فإن شباب اليوم هم الذين يكونون شباب

الغد وقواد المستقبل ، والشباب ساعد الامة القوي وقابها الفاضل وباني
 عظمتها . فاحرصوا كيف يؤدون رسالتهم ويقومون بواجب
 امامتهم . ويتخففون من تبعات جسام على عواتقهم . ان شباب
 اليوم هم شيوخ الغد . وبروحانيتهم يخرجون النشء الجديد بحيث
 يكون تربة صالحة لان يأتي بالثمرة الطيبة الزكية . ونخاري أن أقوم
 بواجبي من على هذا المنبر منبر جمعية الشبان المسلمين التي هي في
 أقل ما يقال فيها أنها تنظم الشبان المسلمين جميعا

ويسرني أيها الاخوان أن اتمثل بقول الشيخ رضى الشيبى

يا شباب اليوم اشياخ الغد

يا شبابا درسوا فاجتهدوا لينالوا غاية المجتهد

وعد الله بكم أوطانكم ولقد آن نجاز الموعد

غير محدد ان جهلتهم قد زكم عدد العلم وعلم المدن

واذا لم ترصدوا أخلاقكم ذهب العلم ذهاب الزبد

كونوا الوحدة لا تفسخها نزغات الرأى والمعتقد

ليس هذا الشعر مآثر وونه ان هذى قطع من كبدي
سادتي:

الفرقة نتيجة طبيعية للقبالية التي كانت تسود بهيمنة و قبيلة في نفس
العربي و وجدانه وفي كل تفكيره. وهي مرحلة من مراحل التطور
الاجتماعي التي تحكم كل أمة في عهد حداثتها، وليس معنى هذا ان
العرب حتى أواخر القرن الخامس للميلاد كانوا في دور طفولية محضنة
بحكم مقاييس الارتقاء من حيث الكيان الحيوي والوضعية
العامة، وإنما المعنى أن العرب الى مستهل القرن السادس كانوا لم
يزالوا ويتحللوا من العقلية القبالية على الوجه العام.

وهذه العقلية التي كانت تنفعل بعصبية حادة جعلت العرب زمنا
طويلا لا يعرفون معنى الامة ولا معنى للقومية وان ظهرت بعد ذلك
بوراق هذه الشعور ارتسمت في نسيئة الشعوب والاسواق الموسمية
وهذان مظهران لنا أن نجعلهما من مظاهر بدو الفكرة القومية عند العرب
فالأول أي نسيئة الاشهر أدت اليها حاجة عامة شعر معها العربي

بضرورة التعاون وضرورة الائتلاف ووجوبهما فكان العربي في
هذه الايام يهادن العربي تحت الشعور بالحاجة الشديدة إلى المهادنة
حتى كانت النسبيّة مفعرا من مفاخر الجاهلية الاولى

وهذا شاعر عربي يفخر بالنسيئة التقليدية

ألسنا الناسئين على معد شهر الحبل نجعلها حراما
والواقع أن في النسبيّة بارقة قوية من بوارق الشعور بالقومية
والعمل على التعاون الشعبى

فالنسيئة كانت وليدة الشعور البايغ بالاجتماع فانها من الوجه
التحالىلى ترجع الى عناصر هذا الشعور وهى جزء من التشريع
التقايديى للهربية القديمة مبنيًا على فكرة تحريم الاشهر الذى هولون
من التعاون الشعبى أوسع من اعتبارات القبلية متخذًا شكلًا
دينيا عميق التأثير بعيد النفوذ وكان هذا التحريم يستغرق أربعة
اشهر متوالية ثم يتعرض العرب من بعدها للشنان والمشحناء
والتعادى الويل فجاء تشريع النسبيّة تشريعا يخفف من هذه

الحمي ويلطف من مفسوفا ومن ثم كانت حاجة اكيدة من حاجات التعايش في ظل الجنس . واذا تناول القرآن هذا الجانب من الشريعة التقليدية بالنقض في آية (انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحاولونه عاما ويحرموناه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله) فليس ذلك لانه يحارب هذا المعنى الرمزي في النسبة وانما يرمى القرآن الى محاربة السلطة التشريعية في الاشخاص ويجمع هذه السلطة في الله وحده . حتى لا يكون أحد من الناس مصدرا للتشريع الديني . ويظهر هذا واضحا في قوله تعالى (ليواطئوا عدة ما حرم الله) فالنسبة اذا مظهر للاجتماع العربي الوليد : وفي الاسواق المسمية مظهر آخر من مظاهر هذا الائتلاف ولكن يتناول الفكرة والدين واللغة : فهم من هذه الناحية اعظم اثرا وأبعد مدى وأقوى مفعولا : ولا ينكر ان هذه العوامل أعدت الفكرة العربية للاجتماع الخطير الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان له أن يغير الأوضاع ويقلب المجتمع ويكونه

تكويننا آخر صالحا وينفخ فيه من زوخر الحياة الصحيحة ويبعثه
بعثا له اعتداده الشعبي بكل المعنى . ويمسح بمسحة ثانية لها خطرها
وشأنها ولها نبلها ورفعتها وتساميتها وتعاليتها السامق ، وفي الحق
أن النواة التي اجتهد النبي محمد صلوات الله عليه بفرسها في نفس
العربي قد لاقت تربة صالحة ، بما مهد لها من هذه العوامل التي
فعلت فعلها الأول . ففيرت الجبلية وهذبت العقلية وسوت من
التباينات القائمة . وليكون ما تقدم من هذا مقبولا ومسالما نضع
بين أيدينا سورة (قريش) التي نفهم من روحها ان دعوة النبي
(ص) لم تكن بعيدة عن فكرة الحاجة والتذكير بها . هذه السورة
التي تبين لنا شكلا من اشكال الدعوة المحمدية الصحيحة . والتي
تبين من وجه آخر أن العرب ولا سيما قريش كان عندهم من
النضج الحيوي ما يوجب أن يكون مقدمة لاعداد الانقلاب الرسولي
الخطير الذي شمل العرب جميعا . وغير صحيحة حياتهم وطاقاتهم
الانفصالي ولذلك نسمع القرآن يقول في السورة المذكورة (لا يلاف

قريش ايا (فهم) وايا لفظ يحدد معناه كلمة الاتحاد كما ترجمها
به مولانا محمد علي الهندي في ترجمته للقرآن المحررة اذن قد كان
في قريش اتحاد وقد كان من لغة الدعاوة المحمدية الفاظ المصالح
الارتفاقية في فاتحة أمرها ، واللغة التي تستعمل في هذا الدور تحدد
تماما الاهداف والغراض في الحركة. ومع اننا لانشك بان هذين
المظهرين وهما النسبثة وبالأحرى تحريم الاشهر ، والاسواق الموسمية
التي كانت تتظم في عكاظ وذي المجاز وسواهما يعبران اتم تصوير
عن طور تكويني جديد في طبيعة العرب ، لا يسعنا الا ان نحكمها
بالعصبية ولا ان نجردها تماما عن الروح القبلية السائدة.

وهذه الروح التعاونية انما استوت على اكل وجوهها واستقرت
على اسمى اوضاعها بالانبعاث النبوي ، ولقد جمع النبي (ص)
كل أدوات الجهاد في بث هذه الدعاية واحلال هذه العقيدة وتاجيح
هذه الروح واثارتها .

ولقد جهد النبي صلى الله عليه وآله أكبر الجهد في محو العصبية والقضاء

على كل فرقة ، واقامة الوحدة الصحيحة والاجتماع المتين في ظل الدين

ولم يحاول المصطفى محاولة سلبية فقط تقتصر على هذا الجانب الذى كانت غايته القضاء على فكرة القبلية فقط ، بل تجاوزه الى عمل انشائى ووضع ايجابى يتناول تهيئة الخلط و اقامة التهاميات على (حد تعبير المهندسين) ووضع البرامج الثابتة التى تتلاءم مع النفسية والروح وتمتزج بالوجدان أوهى تكون الوجدان الحقيقى وما فتىء النبى جاهدنا يعمل ببلء عزمه على تحقيق هذا الهدف واحلاله قبل أى اعتبار من اعتبارات الشريعة المقدسة لأنه منها بمنزلة الاساس أو حجر الزاوية

ولقد حاربها النبى (ص) على مختلف الاشكال ومتعدد الصور جاءلا هذه المحاربة شكلا دينيا رهيبا حتى قال (ليس منا من دعا إلى عصبية) ولقد خضعها باعظم قسط من خطبة الوداع ثم غالى في شأنها حتى جعلها من صميمه الاخرة كما أخرج البخاري في (كتاب

العلم) عن أبي بكره قال (كنت آخذنا بزمام ناقة النبي فقال أي شهر
 هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيمسح به سوى اسمه فقال أليس بذي
 الحجة قلنا ثم قال بلى أي يوم هذا فسكتنا حتى ظننا أنه
 سيمسح به سوى اسمه فقال أليس يوم النحر قلنا بلى ثم قال أي بلد
 هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيمسح به سوى اسمه فقال أليس البلد
 الحرام قلنا بلى فقال أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام محرمة
 يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا فيبلغ الشاهد
 الغائب فرت مبلغ أوعى من سامع) فكانت هذه الدعوة إلى
 محو العصبية وإلى الإخاء الصحيح والتعاون في حق الدين والاجتماع
 وكل مظهر آخر من مظاهر الحياة ، معنى من معاني الدين وروحا
 من روح الشريعة للفراء (كما بسطه الاستاذ العلايلي في كتاب
 مقدمة التفسير)

ولقد فارق النبي الدنيا وهو ارضى ما يكون أن يحقق هذا الهدف
 وبلغ هذه الأمنية ، وجعل من العرب أمة موحدة مجتمعة تشمر

بشعور واحد وتقبل ميلا واحدا ، حتى كانت مترابطة لان في هذا التكاثر فاموس المسلم الصحيح وتمام المعتقد القرآني ، قال تعالى (لو انفقتم ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) (انما المؤمنون إخوة) وقال النبي (ص) (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وأولئك الذين كانوا أقرب الناس اليه صلوات الله عليه ، وفقهوا من معنى الدين الشيء الكثير ظلموا محافظين على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة .

ولقد عانى الخليفة الاول أشد العناء في أن لا يشذ أحسد عن هذا المبدأ مبدأ التعاون الاسلامي .

ولقد حصر رضى الله عنه كل اهتمامه في المحافظة على بناء المسلمين يدهن تصدغ ولا تفسخ ، وربما كان اكبر عمل قام به هذا الخليفة الأعظم هو تعزيز هذا التضامن الاجتماعي الادبي ، وكانت كل مآتية واجراآته في هذا السبيل جدرة بالاعجاب . وبلغت بة شدة الحرص ولباقة المحافظة على الوحدة الاسلامية

مباشرة في موقفين (الاول) موقفه من اختلاف المسلمين حيال موت النبي الذي كان به كالسكينة تنزل على قلوب الخائفين المذعورين (الثانية) موقفه في التنصيب على الخليفة من بعده ، الذي كانت الغاية منه أن لا يتعرض المسلمون لخلاف من نوع الخلاف الذي تعرضوا له بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، والظرف دقيق جدا لا يتسع لاي اختلاف . وذلك لانه مفعم بالفتوح الكبيرة الواسعة الأطراف . والمسلمون متوزعون في بقاع عديدة وجهات مختلفة فكان أي اختلاف كافيا للقضاء على هذه القوى المتناهية . هذا الملاحظ يجهلنا نكبر من إجراء الخليفة الاول في اختيار الشخص الذي يلي الامر من بعده ، وبذلك يوطد ويمكن من الوضع الثابت والاستقرار المستمر الذي لا يعدد وجهات النظر . فأبو بكر الصديق عاش على هذا المبدأ ومات عليه ، وكذلك الخلفاء بعده حافظوا على هذه السنة ونشروها واستمسكوا بها حتى قضوا وهم يشهدون من المالك الاسلامية عقدا مظهرا متماسكا عامرا بالاخاء وقائما

على الوحدة الصحيحة. ولكن بما أن هذه الفتوح أتت سريةً وانتسخت
اتساعاً كبيراً حتى انتظمت في ظرف قصير أكثر العالم القديم
وامتدت من المحيط إلى المحيط وضم الإسلام تحت لوائه عوالم
من أجناس شتى ووشعوبا من مختلف الناس أجمعين ، وبينهم
من التفاوت والاختلاف من حيث العنصر والدين والبيئة
والطبيعة والتفكير والنظر إلى الأمور العامة. فلا بدع أن سبب
ذوب هذه العناصر الدخيلة في جسم الإسلام ما نرى بقاياه اليوم
على صورته مصغرة. فان من هؤلاء من كان لهم سموم ولهم نغثات
مزقت تلك العروة وبددت ذلك العقد ، فتكونت طوائف
وفرق ، بعضها يقوم على غرض ديني ، وآخر يقوم على غرض
سياسي ، وبتعبير آخر انبعثت هذه الأديان جميعها التي طغى
عليها الإسلام في هذه القوى المدهش في لجة الدين متخذة شكلا
منه ومظهراً من مظاهره ، فلم يكن هناك دين له شكل
واحد وإنما هي أديان تلبست شكلاً واحداً وتردت برداء . فكان

في الاسلام يهودية اسلامية ومسيحية اسلامية ووثنية اسلامية
لبست في عقائدها واجتهدت في صوغ نحلها الاولى في شكل سبيكة
اسلامية مغرية وقد بقيت تتكاثر على مثل الانقسام الذاتي ، حتى
أتت في أكبر عدد مفروض . فوجدت الباطنية وأتباع المقنع
وأتباع ابن أبي العزاقر والقرامطة والكاملية والغرابية والمشبهة
والمجسمة والمنصورية مؤلهى أبي جعفر المنصور إلى آخر ما هنالك
من نحل

هذه فرق بعيدة الانتساب عن الاسلام . ولا يهمنا الآن
تعداد الفرق التي نبتت في المحيط الاسلامي متخذة شكلية اسلامية
فقط ، فانه لم يبق من هذه الفرق التي تبعد عن الروح الاسلامية
على مثل الخلاف شيء إلا النزر ، وعلينا الآن أن نجتمع الهدف
في توحيد هذه الطوائف والفرق الباقية التي لا تبعد في صميمها
وروحها عن الاسلام بل تستقي منه وتغترف من حياضه ، وسبيل
توحيد هذه الفئات سهل يسير لأنها تقوم على القرآن والسنة في

أول ما تقوم عليه وإذن اختلفت أنظارها في التأويل والتفسير
ومقاييس الترجيح . وبالاخص في هذا العهد عهد اليقظة والانبات
الذي اختلف فيه النظر إلى الاشياء فلم يمدنظرا مريبا ولا نظرا ذاتيا
وهذا ما يجعل الخطوة إلى التوحيد خطوة غير صعبة وقبيلة
ان تنجح لأنهم يختلفون وتضمهم نخلة ويتنازعون ويجمعهم معتقد
ولقد بدأ دعاة الاصلاح يهيئون بالناس إلى هذه الغاية ويحملون
الطوائف على التفاهم . وهذه أصوات ارتفعت من الشيعة والزيدية
والآباضية حتى الاسماعيلون في العهد الاخير قام زعيمهم أغاخان
بحركة واسعة ليفيئوا إلى الاسلام ويندغموا في محيطه الواسع
تحت دوافع شديدة من اليقظة والانبعاث والحاجة
ومن هنا بدت الدعوة إلى الائتلاف ضعبة سهلة . صعبة لأنها
تقوم على تقاليد وخلق موروث وسهلة لأنها تقوم في وسط نخلة
وتجتمع على معتقد

يبد أن الناس أصبحوا يدركون من أمورهم أكثر مما كانوا يدركون

ويرون الضرورة تقضي باجتماعهم ويحلون اختلافاتهم محلاً ثانوياً
ويقطعون من حلقة تاريخهم فترة الاختلاف والجدال والتنازع
الضال ليصلوا تاريخهم الحاضر بتاريخهم الماضي تاريخ العهد
الرسولي وصحابته أجمعين .

وهذه الصرخات لا بد أنها تاركة صدى جواباً يفعل في هذه
التقاليد المستحجرة ويشذب منها ويهيئوها للتحالف الجديد الذي
ينتظر أن تكون منه طينة الجيل المستقبل . وإذا لم تترك هذه
الاصوات ألا آثاراً تمهيدية فإنها على أى الأحوال ستكون كحجر
سمنار يقوم عليها بناء الهيكل الجديد للعالم الاسلامي العظيم . وانا
باعتبارى كذا شيء بين الخلوة والجامع أود أن أرفع صوتى وأرفعه
عالياً في خدمة الغرض الاسلامي العام قياماً بالواجب وأداء للامانة
الدينية ليتعرف المسلمون إلى هذه الطائفة التي لا يعرف الناس هنا
من حقائقها إلا الشيء اليسير والشيء المشوه وقد فهموا أمورها
ومعتقداتها على غير حقيقتها والتي لا يخرج مذهبها عن كونه مذهباً

اسلاميا له طريقته الخاصة في التفسير والتأويل وبات نظاما دينيا
وأصبح متبعا بحكم التوارث. ويقول بعض كبار الباحثين في أمر
هذا المذهب ان اعلانه - لو أعلن - مما يزيد تلك الطائفة احترامها
وتقديرها وخصوصاً من حيث الاخلاق والمبادئ الروحية والآداب
الدينية والاجتماعية. فهو قائم على حقيقة الاسلام ويتوسع في تفسير
بعض سور القرآن ويقر بالرسول والانبياء واليوم الآخر والبعث
والنشر والثواب والعقاب

وقد قال بعض المؤرخين فيه مختلف الاقاويل وافتروا عليه
شتى الاختراعات مما لا يمت إلى الروية والحكمة والاستقصاء بصلة
مع أن الواجب يقضى على المؤرخ والمدرس والكاتب بأن يتحرى
الحقائق ولا يدخل في بحث حتى يطالع على حقيقته ويقف على كنه أسرار
الواقع الذي لامرأ فيه ان ما يظهر به القوم من آداب
الدين والدنيا وعلائم التقوى والصالح والفضيلة وما يتجلى
في محيطهم من مكارم الاخلاق ونبالة التقاليد في المروءة والوفاء

ما يوجب التفكير الكثير . وما لقبوا ببني معروف إلا من أجل
اشتهارهم باتباع المعروف والابتعاد عن المنكر وليس هذا اللقب
لعمر الحق بقليل ومن الخبر أن تكون طائفة بهذه المزايا في مقدمة
الطوائف في المحيط الاسلامي الاكبر

لذلك ينبغي أن يعرف المسلمون في هذا الشرق الاسلامي
من هم الدروز وأي عنصر كريم هو عنصر بني معروف فتتضح
الطريق وتنجلى الحقائق ويؤدي ذلك إلى التقارب وازالة عوامل
الغلي والتباين بين الطوائف التي تتشرف بالانتماء الى الاسلام
وسيعلم العاملون أنهم ان فعلوا فعلا عظيما وقدموا خيرا عظيما
ومدوا يدا صالحة لأن القوم انبثقوا من الاسلام وما عرفوا الا
في محيطه وبنوا تعاليمهم على القرآن الشريف ورافقوا المسلمين
في جميع أزماتهم السياسية

وأما ما وراء ذلك من انه بناء خاطيء أو غير خاطيء . فهذا ليس
من شأننا الان وانما من شأن الدعاة الذين سيقومون بهذه المهمة

والمسلمون على أى الأحوال ان فرطوا فى هذا فقد فرطوا فى عظيم
وذلك لانهم يعملون الآن والحمد لله بملء اليدين على تحقيق الجامعة
الاسلامية التى هى الجامعة الكبرى والغاية القصوى والامل
المنشود . فكيف يتركون جانبا لم يعالجوه

فان كن المسلمون يريدون حقيقة أن يجمعوا من طوائفهم
ويزيلوا شقة اختلافاتهم فمن واجهم التعرف الى هذه الطوائف
في بيئاتها وتغذية عامة الشعب وهى موطن الصلاح والفلاح فى
كل أمة وكل قبيل بعناصر التآلف والآراء الصالحة المفيدة المشمرة
المنتجة العائدة بالخير على الجميع . وكذلك يقول الشاعر القديم .
وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

وعلينا الآن أن نقول الحق الصراح بأن الجهود التى تبذل
بين الطبقات المثقفة وحدها لا تأتى بالثمرة المطلوبة ولا تهيم
الآثر الذى نستهدفه

وكبير والله ان لا يعرف الناس من أمر الدروز الا الامور السطحية

وهم عنصر كريم ذو مآثر ومفاخر في هذا الوطن العربي شاركو في تاريخه مشاركة شريفة منذ أقدم العهود، فما جرد سيف في سبيل حقه مضاع إلا كانوا في مقدمة شأريه ، ولأر هف قلم دما إلا كانوا في جملة مرهفيه وكذلك شأنهم في كل آن ولا سيما في هذه الايام وعلى أى حال فان في المحيط الأسلامى حركة تجديد وتقدم مصدرها مصر ويشعر بها المسلمون في مختلف الامصار وهذه ستحقق باذن الله ما يحلم به الناس من الأمانى

وفي اعتقادى أن اليوم الذى سيلتقى فيه نظر المسلمين وتجتمع طوائفهم قريب وعسى الله ان يحقق هذا الاجتماع فى ظل المالك الصالح فاروق المعظم والان اتكلم عن هذه الطائفة من الوجهة الاجتماعية والخلقية لتكون شيئاً معروفا كما هى شىء موجبة فان ما ليس بمعروف كما يقال ليس بموجود

لا أتكلم عن الدروز وأن مهد نحلتههم مصر ولا اتكلم عن الدولة الفاطمية وان الدرزية من أفكارها ومن آثارها فهو شىء

معروف للجميع وانما يهمني ان احصر موضوعي في ظاهرة اجتماعية
تدور على الوجود الدرزي الحاضر او بعبارة أخرى إتناول المحيط
الدرزي القائم اليوم وما تزدحم به بيئتهم من عادات وتقاليده واعتبارات
ولا أتناول الفلسفة التي قامت عليها نحلتهم لانه قلما يتفق اثنان
من غيرهم على رأى واحد فيها . وشئ آخر وهو أنى اميل
الآن الى العرض دون التحليل والتعليل الذى لا يتسع له الظرف
اما عن عقيدتهم فانهم فرقة اسلامية قبل كل مناقشة أو عرض
للنظريات الخاصة ، فقد اتسع لها الاسلام فى الماضى ومهد لها من
جوانبه وقامت على أساس اجتهادى منه . وعليه فهى لا تخرج ابدا
عن التعاليم الاسلامية لان الاسلام الذى تنحصر قواعده فى القرآن
هو مرد هذا المذهب الذى يفسره على طريقته الخاصة فى الاجتهاد
والفقه وشئ آخر بحسب التنبيه عليه وهو ان المذهب الدرزي لا ينقض
الفروض الدينية ويدحضها^(١) بل هو يفسرها ويؤولها ومعنى

(١) خلافا لما زعمه الاستاذ عبد الله عنان

هذا انه يعترف بها ضمنا وتقوم اجتهاداته وتفسيره عليها .
 وهذا شاعرهم الاكبر امين بك فاحر الدين بل شاعر
 الضاد يقول من قصيدة في المولد الشريف عنوانها فضائل المصطفى
 وهل يصطفى الرحمان الا مكمل . . . يسابق اقطاب الكمال فيسبق
 ويهزم اركان الضلال برشده . . . ويهزم جيش الشرك والشرك مطبق
 تبليج نور الحق من معجزاته . . . فما ارتاب الا طائش اللب اخرق
 فهل هو يرمى قومه وهو وصفو تههم وموطن ثقتهم ومن حماة حوزتهم
 بالشرك والارتياب . . . الى ان يقول

كأن السما والزهر فيها طوالم . . . بمدح رسول الله طرس منمق
 ونولا اعتلاق الجاذبية نجمها . . . لكاد برمس المصطفى يتعلق

.....

وما عجبى الا لمن جمعهم . . . شريعتهم الغراء كيف تفرقوا
 غدوا شيعة من بعده كل شيعة . . . تناكر أخرى والتناكر موبق
 فروع لها الاسلام أصل وما أرى . . . فروعها اذا لم ينعدها الاصل تورق

وشتان ما قوم قد انبت حبلهم
وقوم أباحوا كل ما هو منكر
وقوم باخلاق النبي تخلقوا
فكونوا كجماع الثريا تكن لكم
وقوم على دونها الشعرى تلوح وتخفق
ولست أرى هذا المذهب كلها
وقوم ما يحصف الحبل اصفقوا
فوقن من يسعى لتمزيق شملكم
وقوم باخلاق النبي تخلقوا
بان الجلال الشم لا تتمرق

هذه هي الخلاصة في العقيدة الدرزية التي لا يعلم أكثر الناس
هذا عنها شيئا. وأنا الآن لا أريد أن أتطرق إلى موضوعها وربما
تناولته في محاضرة أخرى تكون العقيدة موضوعها ولا فرغ الآن
إلى الناحية التي اجتهدت في عرضها. هذه الناحية التي هي المقام الاجتماعي
الذي يشغله الدروز والبيئة التي تجمعهم والموطن الذي يضمهم

وهذه نبذة من مقال للعلامة بطرس البستاني الكبير صاحب
(الجنان) ودائرة المعارف وهو ثقة عايش هذه الطائفة
وساكنها وولد هو وأبوه في أكنافها. فإذا تكلم عنها فأنما يتكلم
بحق وعن علم وإنما تؤثر نقل هذه الفقرات ليس لأننا نجعل هذا

الشئ ، ولكن اثباتا لعدم التحيز قال البستاني بعد مقدمة
 مشائخهم ومعتقداتهم وآدابهم الاجتماعية : تنقسم هذه الطائفة
 إلى عقال وجهال فالعقال هم عمدة الطائفة ولهم رئيسان دينيان
 يسميان بشيخى العقل ، والاحكام الدينية متروكة اليهم وعندهم
 للوصية نفوذ تام . فان الانسان حر ان يوصى قبل موته باملاكه
 لمن يشاء ولذلك قد منحتهم الدولة العلية منذ القديم قاضى مذهب
 لدعاوى الوصايا . وقد أمروا بتجنب الشك والشرك
 والكذب والقتل والفسق والزنا والسرقة والكبرياء
 والرياء والغش والغضب والحقد والنميمة والفساد
 والخبث والحسد وشرب الخمر والطمع والغيبة وجميع الشهوات
 والمحرمات والشبهات ورفض كل منكر من المآكل والمشارب
 ومجانبة التدخين والهزل والمساخر والهزاء والمضحكات وجميع
 الافعال المغايرة لأرادته تعالى والسب والقذف والدعاء بما
 فيه ضرر الناس وعندهم انه على كل مؤمن التحلى بالعفاف والصيانة

والطهارة والفعل الجميل والكرم وبالعلم وخوف الله وطاعته
والرصانة وصيانة العرض وحفظ اللسان والاشم والزور
والبهتان مع استمرار ذكر الله وتسبيحه وتقديسه واقامة
الصلاة والتضرعات والتوسلات بمرتبة تعالى ولا يجوز
بشرعهم لاحد ما ان يخلو بأمرأة . وشأنهم التهمذيب وكره
الزيف والترف وكل عاقل ارتكب القتل أو الزنا أو السرقة أو
غيرها من الآثام يطرد من مجاس العقال الذين يجاسون للقيام
بالفروض الدينية ويبقى مطروداً الى ان تتحقق ندامته وتوبته ومن
شأن الدروز إكرام الضيف والشجاعة والاقتصاد بالمعيشة ويسكنون
الآن في جبل لبنان وقضاء راشيا وقضاء حاصبيا و اقليم البلان والفوطة
والشام وجبل حوران وجبل الكرمل ومرعش وحاب والحلة والكوفة
ومنهم عشيرة بنمي لام في العراق وفي الغرب والهند (واليمن)
وتناولنا من احد أدبائهم جملة اخرى هذا ملخصها يؤمن
الدروز بان الدنيا حادثة وبوجود الله وان لا خالق ولا معبود

سواه وأنه قديم أزلى أبدى لا غرض لفعله غنى لا يحتاج
وحاكم قادر لا يجب عليه شيء إن أتاب في فضله وإن عاقب في عدله
غير متبعض ولا له حد ولا نهاية . ويعتقدون بالقرآن الشريف
اعتقاد أهل السنة إلا أنهم يخالفون في تفسير بعض آياته الكريمة
وتتضمن كتبهم على التوحيد وكيفيه خلق العالم وأسبابه وعمله
وذكر الأنبياء وأسمائهم وفضائلهم والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر وما يجب على الإنسان وما لا يجب عليه وإثبات المعاد
والحساب والعقاب وكون النفوس باقية أزلية لا تفنى مستقرة
في أمكنتها غارقة في بحر عظمة اللاهوت تفنى الأجساد القائمة بها
وتتلاشى وهي باقية إلى الأبد لا تفنى ولا تتغير وهم ينقسمون باعتبار
الطريقة المذهبية إلى قسمين: طائعون ويعرفون بالعقال وهم السالكون
بمقتضى الطريقة المذهبية كالامتناع عن التدخين وسائر المشروبات
الروحية والابتعاد عن التأنق في المآكل والملبوسات وسائر اللذات
الدنيوية والاقتصار على التقشف في المعيشة عملاً بقوله عليه الصلاة

والسلام اخشوشنوا فان النعم لا تدوم)

وأشهر اخلاقهم التمسك باداب الدين فالتقى منهم يحافظ
على قوله كثيرا مهما كلفه الامر فان وعده لا يخلف مهما حال
دون وعده وان أوتمن لم يخن وان حدث لم يكذب وان سئل
عن أمر ولم يتثبتته قال (الله اعلم) أما الجاهل فلا يسوغ لهم مطالعة
القرآن الشريف ولا متون الحكم . خلافا للعقال عملا بقوله تعالى
(لا يمسه إلا المطهرون) والطهارة عندهم الامتناع عن سائر المحرمات
والمنوعات بما يشمل الملامسة الحسية والمعنوية . وإنما يسوغ
لهم تلاوة شروح الكتب الدينية ولهذا يقال لهم شراحون ويمتاز
العقال عن الجاهل بكونهم أيضا يتعممون بالعمامة البيضاء ويلبسون
الملابس البسيطة كالعبائة والقباء . أما شعائرهم . فختان الاولاد
والزواج والطلاق والصلاة على الجنازة فهي طبق الشعائر الاسلامية
غير أنه ليس من عوائدهم أن يتزوج احدهم بغير امرأة واحدة تفسيراً
لقوله تعالى (وان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) وقال تعالى (ولن تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم) وشيوخهم لا يتدخلون في الامور الدنيوية

والسياسية بل ينصرفون الى القاء المواظو الارشادات على ابناء طائفتهم
من هنا يتبين أن هذه الطائفة تربة صالحة لتنمية الفكرة

الاسلامية . لانها تخضع لوجدان اخلاقي كامل هو من الاسلام
ومن اسما ما يدعو اليه الاسلام وإذا كانت الغاية من بعث النبي
ايجاد هذا الرباط الاخلاقي المتين كما قال صلى الله عليه وسلم (إنما
بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) فان الدروز يجيئون اذن في الدرجة
الاولى من جماعة المسلمين عامة. فهم أكثر الناس تمسكاً بروح
الاسلام وتقاليده الاسلام وعاداتهم الشريفة الموروثة .

وختاماً أقول بأن الدروز فئة اسلامية مهما بعدت بنظر البعض
عنه فانها منه وعلى رجالنا العاملين الذين يريدون خدمة الاسلام
ان يتعرفوا اليهم ويتعاونوا مع الطبقة المثقفة منهم على نشر
التعاليم الصالحة للجميع وعلى من يعرفهم من عقلاء المسلمين أن
يعرفوا العامة منهم اخلاق الدروز وعاداتهم المعروفة ويزيلوا
ما علق بأذهانهم من الشك والاوهام فيعلمون انهم إخوانهم في
الاسلام لهم ما لهم وعليهم ما عليهم فهم مسلمون بايمانهم وتقاليدهم

وعاداتهم، مسلمون بزواجهم وجنائزهم وأعيادهم ، مسلمون بكل ما يقره الاسلام فان قصر أحد بالقيام بالفروض الدينية فالذنب عليه فقط . نراهم يقولون خيرا ويكرمون الضيف ويجيرون الجار قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . رواه البخاري ومسلم .

أجل اين نحن أيها القوم من قوله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا . ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرء من الشر ان يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم عن أبي هريرة

فكل هذا يقره الدروز ويعلمون به فمن اين لنا أن نكفرهم ونزميمهم بالارتداد وهم في هذه الايام أشد جهرا باسلامهم من من ذى قبل عن رغبه لا عن رهبه .

ويؤكد هذا فتاوى تثبت وجودهم في حظيرة الاسلام من
مشيخة الاسلام في عهد السلاطين ولا سيما في عهد السلطان عبد
الحميد وهناك فتاوى حديثة لها قيمتها اذكر منها فتاوى المجاهد
الاسلامي العظيم سماحة الحاج امين افندي الحسيني مفتي القدس
الاكبر وهو كما لا يخفون في مقدمة الشخصيات الخطيرة التي تسعى
الى تحقيق الوحدة الاسلامية الكبرى ومن علماء العهد الحديث
من يعدهم باعتبار تعاليمهم من ارباب الطرق . فهم يشبهون
الوهابيين في كل اعمالهم وطريقتهم تقرب من الطريقة النقشبندية :
والذي يشهد لتسكهم في هذا الذي نقوله جريدتهم الصفاء الحرة
التي بلاغة اصحابها ونزعتهم الشريفة أشهر من ان تذكر وهي اقدم
جريدة في لبنان ما فتئت تدافع وتتنافح عن الاسلام والمسلمون
في بقاع الارض ، وتنشد الخلافة التي انحلت عقد المسلمين بانحلالها
وتبددت الوحدة وانفصمت عرى الاتحاد بانفصامها . والمدرسة
الداودية التي هي اقدم مدرسة لهم وارقاها بل من ارقى مدارس

لبنان. ويدبرها زعيم من زعمائهم هو عارف بك النكدي مدير
العدلية في سورية فان في مقدمة برامجها الرسمية تدريس القرآن
والدين والتعريف بالنبي الاعظم الى آخر ما يجب على كل مسلم ان
يكون ملماً به غدا بروحه. ويدرس هذا الفرع عالم من علماءنا من قبل
جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت والنادي الاصلاحى الذى
يضم نخبة ممتازة من الافراد العاملين من محامين واطباء ومفكرين
ووجهاء يعملون بنشاط لهذا الغرض. وانى قبل ان ازايل موضوعى
أعيد ما ذكرته آنفاً و كلى ايمان به وعقيدة بأن الفكرة الاسلامية
بشكلها الاجتماعى ابتدأت والحمد لله تأخذ محلاً من النفوس وتفسح
لنفسها مكاناً وهي من تبشير الجامعة الاسلامية الحقيقية حتى تكون
كواقع ان شاء الله لا كفكرة .

ومتى زابت من الهلال غموه ايقنت ان سيصير بداراً كاملاً
وارجو الله ان يتحقق هذا الاجتماع فى ظل الملك المحبوب فاروق
الاول حرسه الله وأيد مجده وادام سعده والسلام .